المضمون الاسلامى
والجمالى للسبيل

د. عادل شريف علام

اتجه المعمار الاسلامى إلى كتاب الله للتعرف بعمق وصدق الى آيات القرآن الكريم التى أثرت وأغنت فكره ووجدانه ، وبها استرشد ومنها اغترف، وأصبحت العمارة فى خدمة وسلامة وراحة الانسان، وأصبح القرآن الكريم وسنه نبيه " صلى الله عليه وسلم " هما الأطار والمنهج الذى سار عليه المعمار الاسلامى سواء من حيث العمائر الدينيه أو المدنيه أو الخيريه ومنها السبيل .

والعمارة الاسلاميه ما هى الا عناصر أساسيه مجتمعة وضعت بطريقة معينه فيها لمسة الذوق الفنى، وروعى فيها النسب الجمالية المرتبطه بعضها ببعض والتى تكون فى مجموعها الشكل المعمارى ذو الطراز الاسلامى الأصيل.

والعناصر الاسلامية من عقود بمختلف أنواعها والأعمدة وتيجانها وقواعدها، المآذن ، المشغولات النحاسيه ، الحشوات الخشبيه ، الزخارف الهندسيه والنباتيه والكتابيه هى مكملة للعمارة الاسلاميه.

ويتناول البحث المضمون الاسلامى والجمالى للسبيل.

السبيل مكان لاستقاء الناس ، وفى اللغة أسبل المطر بمعنى هطل ، والجمع أسبلة[1].

ولقد عرف الانسان منذ القدم أهميه الماء لاستمرار الحياة، فالماء ضرورى لكل الكائنات الحيه.

وقد بين لنا الاسلام مدى أهمية الماء للكائنات الحية من خلال القرآن الكريم والأحاديث النبوية ا لشريفة.

فقد ورد فى القرآن الكريم "وجعلنا من الماء كل شيئ حى"(٧) "والله خلق كل دابة من ماء"(٨) "هو الذى خلق من الماء بشرا"(٩).

ويبدو من هذه الآيات الكريمة قدرة الله الخالق سبحانه وتعالى فى خلقه أنواع المخلوقات على إختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكانتها من ماء واحد.

وقد وهب ا لله سبحانه وتعالى الماء للحياة أساسا لخلقه ، كما انزله الله سبحانه وتعالى للسقايه والطهارة (الوضوء) فالله سبحانه وتعالى هو المنزل لهذه العطيه، والساقى لهذه النعمة تطبيقا لما ورد فى القرآن الكريم مشبهافى ذلك البعث والنشور باعادة الحياة الى الأرض البور.

فمن آياته الكريمة "وارسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين"(١٠)، "هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون"(١١)، "وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما واناسى كثيرا"(١٢) "ونزلنا من السماء ماء

مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج"[١٣].

ولقد حثت الاحاديث النبويه الشريفه على تقديم الماء للانسان والحيوان على السواء ، فعن أبى هويره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاثة لاينظر الله لهم يوم القيامه ولايزكيهم ولهم عذاب اليم رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه عن ابن ا لسبيل.

وقد وردت الاحاديث النبويه يجمعها هذه الابيات التى نظمها جلال الدين السيوطى:

اذا مات ابن آدم ليس يجرى ... عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء بخل ... وغرس النخل والصدقات تجرى
ورائه مصحف وبناء ثغر ... وحفر البئر أو اجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوى ... اليه أو بناء محل ذكر[١٤]

ومن هنا يظهر بوضوح أن إقامة مبنى عام بهدف تقديم الماء إلى العطشى من العابرين هو فى الأصل بهدف انجاز أحد أوامر الله سبحانه وتعالى المتوجبه على الأنسان وتنفيذ تعاليم رسوله الكريم لعمل صدقة فى سبيل ا لله ودينه الحق.

ولنا أن نتسائل اذا كان الهدف الاسمى من عمل السبيل هو تقديم الماء للشاربين ، فما هى ا لدوافع وراء اقامة أسبله على هذا المستوى المعمارى الرفيع وخاصة خلال العصرى المملوكى والعثمانى حيث أنه كان من الممكن تقديم المياه من خلال فواره أو صنبور مادام الغرض هو اطفاء ظمأ العطشى.

إذ أن الهدف لم يكن إقامة مبنى لتقديم المياه فحسب ولكن الهدف الأسمى هو اقامة بناء يليق بهذه العطيه الالهيه التى خلق منها الانسان وانزلها الله بقدرته واعطاها للشاربين ، ولهذا تسابق السلاطين والامراء فى إقامة الأسبلة ، ومن هنا فإن السبيل هو بيت من بيوت الله.

وقد عمل فى بعض الاسبلة محاريب ، والحق بها ميضأة وأقيمت بها الصلوات الخمس.

ففى سبيل مصطفى سنان (١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) يحتوى على مصلى ملحقه بحجرة ا لتسبيل ذات محراب بسيط مجوف[١٥]، وفى سبيل ا لسلطان محمود (١١٦٤هـ/١٧٥٠م) استعمل كمدرسه لتحفيظ القرآن الكريم[١٦]، ويوجد بحجرة التسبيل محراب أعلاه الآيه القرآنيه "كلما دخل عليها زكريا المحراب"[١٧]

ويغشى جدران حجرة السبيل بسبيل الأمير عبد ا لرحمن كتخدا بين القصرين (١١٥٧هـ/١٧٤٤م) تجميعات رائعة من البلاطات الخزفيه[١٨] ، وأبرز ما يميز هذه التجميعات هى انها تتضمن لوحة خزفيه يمثل الكعبه

المشرفه ، وبأسفل هذه الصورة بقايا لرسم محراب يتدلى من تمته مشكاة، وبأعلى المحراب حشوة تتضمن كتابة قرآنيه "كلما دخل عليها زكريا المحراب[١٩]، مما يرجح ان هذا السبيل كانت تقام فيه الصلاة[٢٠]. (لوحه ١).

ويوجد فى سبيل رقيه دودو (١١٧٤هـ/١٧٦١م) بالجهة الجنوبية الشرقية محراب عبارة عن حنيه معقودة بعقد مدبب[٢١].

وتوضح الآيات القرآنيه أو الأحاديث النبوية الموجودة بالاسبلة انها قد اختيرت بعناية للدلالة على الوظيفة التى اختص بها هذا المكان مؤكدة بكل وضوح على أن الله سبحانه وتعالى هو الساقى، وكلها من آيات سورة الانسان "ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونيا تفجيرا"[٢٢].

ونرى هاتان الآيتان على سبيل المثال لا الحصر فى سبيل الأمير شيخو (٧٥٥هـ/١٣٥٤م)[٢٣] ، سبيل فرج بن برقوق (٨١١هـ/١٤٠٩م)[٢٤]، سبيل القاضى عبد الباسط (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)[٢٥] ، سبيل السلطان قايتباى بالقرافة (٨٧٧-٨٧٩هـ/٧٢-١٤٧٤م)[٢٦]، سبيل يوسف الكردى (ق ١٠هـ/١٦م)[٢٧] وسبيل يوسف بك (١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)[٢٨].

كما وجدت هذه الايات الكريمة على المزملة[٢٩] بالمبانى الدينيه والتعليمية.

وقد أخصب القرآن الكريم وأغنى وأثرى فكر ووجدان المعمار فى المجتمع الاسلامى، اذ استلهم عناصره من الوصف القرآنى للجنه بعيونها وأشجارها وفاكتها من آيات سورة الأنسان. "ويطاف عليهم بآنية من فضه وأكواب كانت قواريرا . قواريرا من فضه قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا"(٣٠).

ولذا حاول المعمار اكتمال الصورة الاسلاميه الجماليه لهذا المكان الذى يقدم هذه العطيه الالهيه عن طريق عمل تشكيل معمارى يصور السلسبيل بالجنه السماوية حيث يقدم الماء الممزوج بطعم الزنجبيل من عين تسمى سلسبيلا.

ولذا وجدت فى بعض الاسبلة شاذروان وسلسبيل تشبها بالعين الموجودة بالجنه، وتنساب المياه على السلسبيل الذى يكون مزينا بتموجات بارزة محاطه باطار من رسوم نباتيه توحى للناظر عندما تسبل المياه على السلسبيل كما لو كانت المياه لعين جاريه، وتتجمع المياه بعد ذلك فى أحواض من الرخام أو الالبستر وتساعد حركة المياه لمسافات طويله وتعرضها للهواء على برودتها وجعلها مستساغة للشرب(٣١).

وقد جد السلسبيل على سبيل المثال لا الحصر فى سبيل السلطان قايتباى بالقرافه (٨٧٧-٨٧٩هـ/٧٢-١٤٧٤م)(٣٢)، سبيل الغورى بالازهر (٩٠٩-٩١٠هـ/١٥٠٤-١٥٠٥م)(٣٣) (لوحه ٢)، وسبيل خسرو باشا

(٩٤٢هـ/١٥٣٥م)[٣٤]، وسبيل سليمان بك الخربوطلى، والشاذروان بالسبيل الملحق بجامع تغرى بردى (ق ١٠هـ/١٦م) (لوحه ٣).

ولعل إظهار الماء بهذا الشكل المتدفق يأتى مستوحى مما ورد بالذكر الحكيم عن الماء المعين وهو الماء الجار المتدفق الظاهر الذى يقدم للشاربين فى الجنه وذلك من آياته الكريمه"واويناهما إلى ربوة ذات قرار معين"[٣٥] و"يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين"[٣٦]، "بأكواب وأباريق وكأس من معين[٣٧]، "قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين[٣٨].

وعلى هذا فإن المياه تتدفق من أشكال برونزيه مذهبه لتسيل على سطح السلسبيل ومنها الى صحن من فسيفساء رخاميه ومن ثم الى أحواض الشرب أمام النوافذ لسقاية أبناء السبيل.

ان هذا التكوين لحركة الماء والسلسبيل استوحى من الآيات الكريمة معبرة عن العطيه الآلهيه المنزلة من السماء وهى التى تعيدالحياة للأرض الميته تعبيرا عن النشور، وهو ماورد فى القرآن الكريم "فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور"[٣٩].

ومن هذا كله يمكن القول إن عمارة السبيل قد استلهمت عناصرها ومكوناتها من الوصف القرآنى للجنة وعيونها، تبنى فيها المعمار تعاليم القرآن الكريم وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم منفذا لأحد أفضل الأعمال وهى سقى ابن السبيل، وذلك من خلال عمل معمارى متميز بتشكيل متنوع

متغير ولكن فى اطار من ا لوحدة الكاملة المتناسقه راعى فيها الاخلاص العمرانى للانماط التراثيه سواء من ناحية الشكل أو المظهر معطيا الفراغ الداخلى تعبيرا ديناميكيا استوحاه من السور القرآنيه التى تحدثت عن حركة الماء النازل من السماء والتى فجرت فى المعمار طاقات خلاقة مبدعة.

وطبقا لما ورد فى الوثائق فإن الخدمة فى السبيل تكون يوميا من طلوع الشمس إلى غروبها ، وفى شهر رمضان من بعد غروب الشمس الى وقت السحور . ويخصص للخدمة فى السبيل شخص سمى بالمزملاتى(٤٠).

وتنص الوثائق على الشروط الصحيه التى يجب توافرها للمحافظة على نظافة المكان والأوانى المستعمله وطرق حفظها، والشروطالواجب توافرها فى المزملاتى بأن يكون سالما من العاهات والأمراض ، وان يكون عفيفا دينا خيرا وان يسهل الشرب على الناس ويعاملهم بالحسنى والرفق.

واستكمالا لهذا العمل الخيرى حرص المعمار المسلم ان يعلو هذه الاسبلة كتاتيب ، وكانت هذه الكتاتيب تؤدى وظيفة تعليميه واجتماعية يستفيد منها ايتام المسلمين ، وكانت متسعة تتسع لاعداد الايتام الذين يقررون بها ومؤدبهم والعريف اللذان يقومان بتعليمهم(٤١).

وقد عرفت مكاتب الأيتام فى الوثائق باسم مكتب السبيل أو المكتب علو السبيل أو كتاب ا لسبيل(٤٢).

المضمون الجمالي للعناصر المعماريه للسبيل

العقود

تُعد العقود من الابتكارات المعمارية الهامة التى كانت معروفة وشائعة قبل العصر الاسلامى، وزاد انتشارها وتعددت أشكالها وتنوعت استخداماتها فى العمارة الأسلاميه الدينيه والمدنيه والحربيه والخيرية[٤٣].

وقد شاع أستخدام العقود بأنواعها المختلفة فى عمارة السبيل ، وبالأضافة الى الغرض المعمارى من ا ستخدامها فإنها أضفت مسحة جماليه زخرفيه.

ومن أنواع هذه العقود التى استخدمت بكثرة فى الاسبلة العقد المدائنى، ويتكون هذا العقد من ثلاثة فصوص يمثل الفص العلوى منها رأس العقد وتاجه وهو عبارة عن طاقيه معقودة بعقد مدبب غالبا ، أما الفصين السفليين فيعما عبارة عن قوسين جانبيين يرتكز عليهما رجلى عقد الطاقيه ، وصنج هذا العقد منتظمة على الرياش كما هو معروف فى مصطلح معلمى المعمار ، وتفسير ذلك أنه لو إمتد خيط من مركز ا لعقد الى حوافه تسير مداميكه فى سفوف اشعاعيه منتظمة[٤٤].

ومن أشكال هذا العقد المعقد المدائنى البسيط أوالمجرد ، أى يخلو قوسيه الجانبين من المقرنصات بسبيل سبيل ابراهيم بك المناسترلى (١١٢٦هـ/١٧١٤م) (لوحة ٤).

ومن امثلة العقد الثلاثى سبيل مدرسة السلطان قايتباى بالقرافه (٨٧٧-٨٧٩هـ/٧٣-١٤٧٤م) حيث يعلو مدخل السبيل عقد ثلاثى ذو رجل عقد مستقيمة، والعقد محلى بجفت الميمة البسيط ، ونلاحظ تأكيد العقد للمدخل واظهاره وأيضا رشاقة واستطالة نسب العقد الذى يعطيه قيمة جماليه عاليه (لوحة ٥). وسبيل جنبلاط (١٢١٢هـ/١٧٩٧م) حيث يتوج مدخل السبيل عقد ثلاثى حلى رجل العقد بزخارف هندسيه (لوحه ٦).

ومن اشكاله عقد مدائنى شغل قوسيه الجانبيين بمجموعة من حطات المقرنصات المتصاعد لأعلى حتى بداية الطاقيه، وقد ترتكز هذه المقرنصات ذات دلايات يغشى ما بينها بالبراقع[٤٥]مثل مدخل سبيل يوسف جوريحى (١١٧٧هـ/١٧٦٣م) سبيل العريان (١١٧١-١١٧٣هـ/٥٧-١٧٥٩م) سبيل الست صالحه (١١٥٤هـ/١٧٤٧م) سبيل عبد الرحمن كتخدا بين القصرين (١١٥٧هـ/١٧٤٤م) حيث جمع الفنان بين نوعين من العناصر داخل العقد هما وحدة المروحة وا لمقرنصات من ترابط متزن (لوحة ٧).

كذلك استخدم العقد المدبب وهو عقد يكون فيه التفيخ[٤٦] والتجريد[٤٧] على هيئة أقواس من دوائر تقع مراكزها فى داخل أو خارج فتحة العقد[٤٨].

وقد أنتشر هذا النوع من العقود انتشارا كبيرا فى العمارة الاسلاميه، وقام ا لمعمار المسلم بتطويره وابتكار أشكال عديده منه[٤٩].

كما أستخدم الفنان العقدالمدبب حدوةالفرس **Pointed Horse Sho Arch.** وهو عباره عن عقد مدبب يرتد ابتداؤه - رجليه عن خط امتداد كتفى العقد ولذلك فهو يعرف أيضا بالعقد المرتد(٥٠).

ونرى هذا النوع من العقود فى واجهات الاسبله والمكاتب (الكتاتيب) التى تعلو الاسبلة وهى ذات بائكات معقودة بعقود مدببه حدوة الفرس.

واستخذم ا لفنان المسلم العقد المرتد المدبب فى سبيل وقف قيطاس (١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) (لوحة ٨) فى استطالة أعطت للعقد رشاقة، كما استخدمه فى ربط عقدين بعضهما البعض فى عمود فى ا لمنتصف وارتكاز الطرفين الآخرين من ا لعقدين على جدار السبيل.

كما استخدم الفنان العقد المركب ، وهو يتكون من نوعين من العقود، العقد الخارجى والعقد الداخلى وهو الثلاثى، العقد الخارجى بمركز واحد ليعطى قوسين متماثلين يستكمل القوسين من أعلى بخطين مستقيمين ليتلاقيا أسفل القوسين بخطوط مستقيمة رأسيه، أما العقد الثلاثى فموضعه فى بطنيه العقدالخارجى وله ثلاثه مراكز، ومن أمثلته بسبيل السلطان محمود (١١٦٤هـ/١٧٥٠م) حيث يتكون العقد من نوعين من ا لعقود ، العقد الخارجى والعقد الداخلى، ونلاحظ العقد الخارجى عقد مخموس محلى بزخرفة نباتيه ، والعقد الداخلى وهوعقد ذو فصوص وينتهى العقد عموما بمقرنصات (لوحه ٩).

وسبيل رقيه دودو (١٠١٤هـ/١٦٠٥م) استخدم العقد الخارجي ذو الفصوص، والعقد الداخلي عقد دائرى ذو المركز الواحد المحلى بزخارف نباتيه، والعقد ينتهى بثلاث مقرنصات تزيد من رشاقته وجماله.

واستخدم الفنان فى سبيل عبد الرحمن كتخدا (١١٥٧هـ/١٧٤٤م) العقد المزدوج وهو عبارة عن عقد دائرى ذو مركز واحد، ويعتبر العقد الرئيسى ، وبأسفل بطنية العقدالرئيسى عقد أصغر يأخذ نفس الشكل. وشغل الفراغ الموجود بين العقدين بزخارف نباتيه وهندسيه محفورة حفرا بارزا ، كذلك شغلت توشيحه كل عقد من العقدين بزخارف هندسيه من الرخام الملون ، وحمل كل عقد من العقدين على زوج من الاعمدة الدائرية الرخاميه (لوحة ١٠).

الأعمدة :

سبق للمسلمين ان قاموا بنقل الأعمدة من الأبنيه القديمه كالمعابد والكنائس والاماكن المتهدمه لاستخدامها فى مبانيهم، وقد استطاع المسلمون ابتكار أعمدة ذات أبدان وتيجان لم تعرف قبليم بل تميز فنهم مثل الأعمدة ذات البدن المضلع تضليع حلزونى ، والأعمدة ذات البدن المثمن والتيجان البصليه والناقوسيه والتى على شكل المقرنصات(٥١).

ومن نماذج هذه الاعمدة العمودين الحاملين لسقفى السبيل والكتاب الملحقين بمدرسة القاضى عبدالباسط (٨٢٣هـ/١٤٢٠م) وهما من الطراز

الكورنثى[٥٢] ، وكذلك العمود الدائرى بتاج مورق (كورنثى) والبدن الدائرى منقسم الى قسمين الأعلى به جفوت مائلة والجزء الأوسط به كتابات بخط الثلث، ونرى ذلك بسبيل سليمان اغا الحنفى (١٢٠٦هـ/١٧٩٢م) ، وفى سبيل الست صالحه (١١٥٤هـ/١٧٤١م) عمود دائرى بقاعدة وتاج مبسط (لوحه ١١) ، ونراه أيضا فى سبيل السلطان مصطفى (١١٧٢هـ/١٧٥٨م) ولكن البدن محلى بزخارف نباتيه متداخلة (لوحة ١٢) وفى سبيل رقيه دودو (١١٧٤هـ/١٧٦١م) والبدن مقسم الى قسمين الأعلى والأسفل محلى بزخارف نباتيه متداخلة ، وفى الوسط كتابات بالخط الثلث المحفور حفرا بارزا. (لوحه ١٣).

وفى سبيل بشير أغا دار السعادة (١١٣١هـ/١٧١٨م) بدن مثمن بتاج دائرى بسيط ، والجزء العلوى عبارة عن زجزاج بخطوط مستقيمة، والسفلى عبارةعن جفوت رأسيه مستقيمه وفى الوسط كتابات بالخط الثاث، أما القاعدة مبسطة دائرية.

وفى سبيل السلطان محمود (١١٦٤هـ/١٧٥٠م) نرى نموذجين من الأعمدة بعضهما، أحدهما بدن دائرى بسيط املس بقاعدة وتاج مبسط، والثانى أيضا دائرى لكنه محلى بجفوت وفى الوسط شريط كتابى.

المقرنصات

هى حليات معمارية توضع دائما مدلاة فى طبقات منتظمة تسمى حطات، وتكون هذه الطبقات مصفوفه بالتبادل بعضها البعض واستعمالها كزخرفة معمارية فى كثير من الحالات[٥٣].

ومن أمثلتها فى سبيل يوسف أغا الحين (١٠٣٥هـ/١٦٢٥م) وهى عبارة عن ثلاث حطات من المقرنصات المدببه عبارة عن عقود صغيرة ذات مركز واحد. ونلاحظ ان حطة من أعلى صف من العقود يدون أرجل ويشغلها من الداخل زخرفة نباتيه عبارة عن ورقة نباتيه ثلاثيه ، وفى الحطة الثانيه نلحظ وجود رجل للعقد المقرنص ولكن تكرر الورقة النباتيه فى مقرنص دون الاخر، والحطة الثالثه ذات ردود عن الحطتين الأولى والثانيه وهى حطه مركبه ويوجد بجميع المقرنصات ورقة نباتيه. (لوحه ١٤).

كما يوجد فى سبيل سليمان أغا (١٢٠٦هـ/١٧٩٢م) عقد كبير من الحجر ، وتأخذ فى التدرج الصف الأعلى أقصر من ا لذى يليه، والصف الأخير أكبر منهم وبيطنيه العقد ينتهى بمقرنص ذات رجلين.

وفى سبيل رقيه دودو (١١٧٤هـ/١٧٦١م) عبارة عن حطتين من المقرنصات المدببه بداخلها وحدات زخرفيه هندسية ونباتيه. وفى سبيل

بشير أغا (١١٣١هـ/١٧٧٨م) عبارة عن ثلاث حطات من المقرنصات المدببه من الحجر أعلى باب مدخل السبيل.

وفى سبيل خسرو باشا (٩٤٢هـ/١٥٣٥م) نجد بسقف حجرة السبيل حطة من المقرنصات أسفل إطار من الكتابات بالخط الثلث المذهب وهى مقرنصات من النوع المخموس عبارة عن عقد مخموس ذات مركزين وبداخلها زخرفة نباتيه.

الجفـــوت :

عبارة عن زخرفة بارزه فى الحجر أو غيره من المواد على شكل اطار أو سلسلة حول الفتحات أوالعقود أو غير ذلك ، ويتخلل هذا الأطار ميمات ذات أشكال مختلفه على أبعاد منتظمة ويطلق على الجفت ذو الميمه أسم جفت لاعب[٥٤]

وقد تكون الميمات مستديرة أو سداسيه وفى حالة خلو الجفت من الميمات فإنه يطلق عليه فى هذه الحالة اسم جفت مجرد[٥٥].

ونرى الجفت ذو الميمه[٥٦] الدائر ى فى سبيل عبد الرحمن كتخدا (١١٥٧هـ/١٧٤٤م)، وفى سبيل مصطفى سنان (١٠٤٠هـ/١٦٣١م) نجد ميمه مركب عبارة عن جفتين مزدوجين المسافه الوسطى بها ميمة كبيرة، واستخدم الفنان فى عمل تصميم شكل مربع تترابط الجفوت بطريقه هندسيه رائعه (لوحه ١٥).

واستخدم الفنان فى سبيل ابراهيم المناسترلى (١١٢٦هـ/١٧١٤م) جفت الكرنداس المبسط[٥٧] فى تحديد فتحة الشباك وتحديد الكتابات أعلى فتحة الشباك لربط عناصر الزخرفة سواء كانت هندسيه او نباتيه.

كما استخدم الفنان فى سبيل الكريدليه (١٠٤٠هـ/١٦٣١م) جفت الكرنداس البسيط المسدس[٥٨] لتحديد الزخارف الهندسيه ثم ربطه بجفت الكرنداس النجمة المثمنه لتحديد الزخارف .

ونجد فى سبيل بشير أغا (١١٣١هـ/١٧١٨م) جفت الكرنداس المبسط المسدس ، واستخدم فى تحديد الفتحات والابواب الرئيسيه والوحدات الزخرفيه لاحداث ربط واتزان بين المساحات والفراغات الناتجه من توزيع الزخارف مع بعضها البعض.

ونجد الكرنداس المبسط والمبسط المسدس فى سبيل الست صالحة (١١٥٤هـ/١٧٤١م).

وفى سبيل وقف قيطاس (١٠٤٠هـ/١٦٣١م) نوعين من الجفوت ، الجفوت المركبه وهى عبارة عن جفتين مزدوجين المسافة الوسطى بها ميمه كبيره تربط أربعة جفوت ثم ميمات صغيرة موزعة على كل جفت مزدوج. (لوحه ١٦).

وفى سبيل رقيه دودو (١١٧٤هـ/١٧٦١م) نجد جفت الكرنداس المسدس البسيط فى تحديد عقد فتحة الشباك (لوحه ١٣).

ملتويه ومقوسه بسبيل السلطان محمود (١١٦٤هـ/١٧٥٠م) وسبيل السلطان مصطفى (١١٧٢هـ/١٧٥٨م).

كذلك استخدم الفنان الأوراق النباتيه بفروعها بأسلوب واقعى فى عقود شبابيك التسييل بالاسبلة.

الزخارف الهندسية

استخدمت الزخارف الهندسيه التى اعتمدت على الخطوط المتقاطعة والمنحنيه فى معظم أسقف الاسبله ، ولم تستخدم كوحدة زخرفيه قائمة بذاتها بقدر ما استخدمت فى تحديد الوحدات الزخرفيه ذات العناصر النباتيه المختلفة[٥٩] مثل استخدامها على براطيم سقف سبيل خسرو باشا (٩٤٢هـ-١٥٣٥م) حيث تكون لنا أشكالا بيضاويه تحصر بداخلهارسوم الارابسك ، واستخدمت هذه الخطوجط فى عمل زخرفة تشبه الزجزاج فى الحشوات الحجريه على جانبى واجهة سبيل مصطفى سنان (١٠٤٠هـ/١٦٣١م) وواجهة سبيل الست صالحه (١١٥٤هـ/١٧٤١م).

كما استخدمت الخطوط الهندسيه فى النغشيات النحاس بشبابيك التسييل ذات الواجهات المقوسه ، حيث تكون لنا تشابيك هندسيه غير محدودة المعالم عن طريق انحناءات هذه الخطوط وتقاطعها وتماسها مثل تغشيات سبيل ا لسلطان محمود (١١٦٤هـ/١٧٥٠م) وسبيل السلطان مصطفى (١١٧٢هـ/١٧٥٨م).

كما استخدمت الدوائر والمعنيات والمستطيلات والمربعات التى توجد بأغلب الأرضيات الرخاميه فى الاسبله المملوكيه والعثمانيه فى القاهرة.

ووجدت الاشكال النجميه بأنواعها فى أغلب الاسبلة على شكل حشوة مستطيلة وفى تواشيح عقود شبابيك التسييل وعقود الدخلات التى تعلوها غير انها منفذة بالتلبيس فى الرخام وعبارة عن فسيفساء رخاميه فى معظم اسبلةالعصر المملوكى والعثمانى.

الزخارف الكتابية

شاع الخط الثلث والنسخ بالاضافة الى خطوط اخرى عثمانيه كالرقعة والطغراء على الاسبلة(٦٠).

وقد جمع الفنان المسلم فى بعض الاحيان بين الخط النسخ والثلث والرقعه ، ونرى ذلك فى ا لكتابه على البلاطات الخزفيه أعلى باب الدخول للحجرة التسبيل بسبيل عبد الرحمن كتخدا (١١٥٧هـ/١٧٤٤م)(٦١).

كذلك استخدم الفنان الكتابات المنعكسه ونجد ذلك بسبيل السلطان محمود (١١٦٤هـ/١٧٥٠م) حيث شكل الخطاط المشكاه التى تتدلى من عقد المحراب من احرف كتابيه متعاكسه عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم" مكرر مرتين.

كما استخدم الفنان الطغراوات ، يوجد ثلاث طغراوات أعلى الثلاث شبابيك للتسبيل بأسم السلطان محمودعلى سبيله (١١٦٤هـ/١٧٥٠م) على جانبى كل منهم فرعين نباتين بهما زهـــور .(لوحه ١٧) .

كما توجد ثلاث طغراوات أيضا على شبابيك التسبيل بسبيل السلطان مصطفى (١١٧٢هـ/١٧٥٨م) من الخارج داخل اشكال بيضاويه يحيط بها زخارف من الباروك . (لوحه ١٨).

كما تعددت أنواع الكتابات من تأسيسيه ووظيفيه ودعائيه تظهر رغبة المنشئ فى عمل الخير ، وكتابات من أبيات من الشعر مثل سبيل ا الست نفيسه البيضا المراديه (١٢١١هـ/١٧٩٦م) .

باوارد الماء الزلال الصافى اشرب هنيئا صحة وعوافى[٦٢]

وسبيل ابراهيم بك المناسترلى (١١٢٦هـ/١٧١٤م).

سبيل الله ياعطشان فاشرب هنيئا صافيا يشفى العليلا[٦٣].

الهوامش

(١) القاموس المحيط: المصباح المنير ، جـ ١ ، ص ١٢١

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقيه الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها الشهيرة ، بولاق ، جـ ٦ ، ص ١٦٦.

(٣) د. حسنى نويصر: مجموعة سبل السلطان قايتباى بالقاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعةالقاهرة ، ١٩٧٠، ص ٥.

(٤) سورة آل عمران : آيه ٩٧.

(٥) سورة الفرقان : آيه ٢٧

(٦) سورة النساء آيه ١٥

(٧) سورة الانبياء : آيه ٣٠

(٨) سورةالنور : آيه ٤٥

(٩) سورةالفرقان : آيه ٥٤

(١٠) سورة الحجر : آيه ٢٢

(١١) سورة النحل : آيه ١٠

(١٢) سورةالفرقان: الايتان ٤٨:٤٩

(١٣) سورة ق : الآيات ٩:١١

(١٤) على مبارك :المصدر السابق ، جـ ٦، ص ١٦٦

(١٥) د. محمود الحسينى : الاسبلة العثمانيه بمدينة القاهرة، مكتبة مدبولى ، ١٩٨٨، ص ١٤٣.

(١٦) وثيقة السلطان محمود خان بن مصطفى خـــان ، ٩٠٨ أوقاف ، ص ٤.

(١٧) سورة آل عمران : الايه ٣٧.

(١٨) د. ربيع خليفه: فنون القاهرة فى العهد العثمانى "مكتبة نهضـة الشـرق ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٤.

(١٩) سورة آل عمران : الايه ٣٧.

(٢٠) **GAYET: L'ART ARABE, PARIS, 1893, P.20.**

د. ربيع خليفه: البلاطـات الخزفيـه علـى ا لعمـائر العثمانيـه بالقـاهرة، رسالة ماجستير، كليه الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧، ص ١٢٢.

(٢١) د. محمود الحسينى : المرجع السابق ، ص ٢٢٥.

(٢٢) سورة الانسان : الآيتان ٥-٦.

(٢٣) د. سـعاد حسـن: أعمـال شـيخو المعماريـه ، رسـالة ماجسـتير ، كليـة الاثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧، ص ٢٣٢.

(٢٤) د. صالح لمعى : التراث المعمارى الاسلامى فى مصر، دار النهضـه العربيه ١٩٨٤، ص ٢١١.

(٢٥) د. سامى نوار: الأعمال المعماريه للقاضى زين الدين عبد الباسط ، رسالة ماجستير، كلية الآداب بسوهاج، جامعةاسيوط ، ١٩٨٠، ص ٢٠٥ .

(٢٦) د. حسنى نويصر: المرجع السابق ، ص ٥٠.

(٢٧) د. محمودالحسينى: المرجع السابق ، ص ١٢٩.

(٢٨) المرجع نفسه ، ص ١٥٨.

(٢٩) المزمله : هى القدر من الفخار تكسى أوتلف او تزمل بالقماش المبلول لحفظ الماء دون عفن، وكانت توجد هذه المزملات عادة بأحد جانبى الدهليز المؤدى الى الصحن أوالدرقاعه أو الميضآت فى العمائر الدينيه.

وتخطيطها عبارة عن دخلة مستطيله الشكل تشرف على الدهليز بعقد ايا كان نوعه ويغشى تلك الدخله حجاب من خشب الخرط يتوسطه باب ذو مصراعين وتوضع داخل هذه الدخله القدور الفخاريه المملؤه بالماء.

د. مصطفى نجيب: المزمله كمورد لمياه الشرب بمنشآت القاهرة فى العصر المملوكى ، مجلة كلية الآثار ، جامعةالقاهرة ،العدد الثانى ١٩٧٧، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٥١-١٥٢.

وفى العصر العثمانى تطور مدلول هذا المصطلح واتسع معناه فأصبح يقصد به السبيل بصفه عامة وحجرة التسبيل بصفه خاصه وذلك من قبيل اطلاق الجزء على الكل.

د. محمودالحسينى : المرجع السابق ، ص ٥٣-٥٤.

(٣٠) سورةالانسان: الآيات ١٥:١٨.

(٣١) د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخيه واثريه فى وثائق عصر الغورى ، رسالة دكتوراه كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٩ ، ح ٣ .

(٣٢) د. حسنى نويصر: المرجع السابق ص ٥١.

(٣٣) د. صالح لمعى : المرج السابق ، ص ٢١١.

(٣٤) د. محمود الحسينى: المرجع السابق ، ص ١٢٥.

(٣٥) سورة المؤمنون : آيه ٥٠

(٣٦) سورة الصافات : الآيتان ٤٥-٤٦.

(٣٧) سورة الواقعة : آيه ١٨

(٣٨) سورةالملك : آيه ٣٠.

(٣٩) سورة فاطر: الاية ٩.

(٤٠) المزملاتى: هوالموظف المختص بالعمل فى السبيل والذى عليه ان يقوم بتسبيل ا لماء للناس ، وملأ الصهريج الخاص بالسبيل ووضع ماء الورد فى أحواض الشرب ، وتنظيف المبنى والرش تجاهه، كما كان يقوم بحراسة أوانى الشرب.

د. عبد اللطيف ابراهيم: المرجع السابق ، ص ٥٥، ح ٦٨.

(٤١) د. محمد عبد الستار: نظرية الوظيفيه بالعمائر الدينيه المملوكيه الباقيه بمدينة القاهرة رسالة دكتوراه ، كلية الاداب بسوهاج ، جامعة اسيوط، ١٩٧٩، ص ٣٠٦.

(٤٢) د. محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر، القاهرة ، ١٩٨٠، ص ٢٦١-٢٦٥.

(٤٣) محمد حماد: الانشاء والعمارة ، المجلد الأول ، الطبعة الاولى ١٩٦٤، ص ١٢٥.

(٤٤) د. مصطفى نجيب : مدرسه خاير بك بباب الوزير ، رسالة ماجستير ، كليه الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٨، ص ٧٩.

(٤٥) البراقع : أحجبه حجريه ذات زخارف مفرغة.

(٤٦) التنفيخ : يقصد به بطنية العقد أوالمنحنى السفلى له.

(٤٧) التجريد : يقصد به المنحنى العلوى أوالخارجى للعقد ويعرف أيضا بالتتويج.

(٤٨) محمد حماد: المرجع السابق ، ص ١٣١ ، توفيق عبدالجواد: موادالبناء وطرق الانشاء فى المبانى القاهريه ، ١٩٨٤، ص ٦٩.

(٤٩) أحمد فكرى : التأثيرات الفنيه الاسلامية العربيه علىا لفنون الأوربيه ، مجلة سومر ، المجلد ٢٣، جـ ١-٢ ، العراق ، ١٩٦٧، ص ٥٧، د. فريد شافعى : العمارة العربيه فى مصر الاسلامية ، المجلد الاول، عصر الولاة ، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٧٢.

(٥٠) دللى: العمارة العربيه فى مصر فى شرح المميزات البنائيه الرئيسيه للطراز العربى ، ترجمة محمود أحمد ، الطبعة الاولى، القاهرة ، ١٩٢٣، ص ١-٢ ، د.فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٢٠٧، د.زكى حسن : فنون الاسلام، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ١٥١.

(٥١) د. فريد شافعى : المرجع السابق ، ص ٢١٢

(٥٢) د. سامى نوار : المرجع السابق ، ص ٢٠٦

(٥٣) **Marcais: L'Art de l'Islam, p. 22, Creswell: Early Muslim Architecture, vol.II, pp.101-118.**

(٥٤) عبد اللطيف ابراهيم : الوثائق فى خدمة الأثار ، بحث فى المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربيه ، بغداد ، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٥٣، ح ١

(٥٥) دللى: المرجع السابق ، ص ٦-٧.

(٥٦) سميت بالميمة لأنها تشبه ر أس حرف الميم وهى وحدة هندسيه تربط الجفوت على أساس اتجاهين مختلفين.

(٥٧) الكرنداس المبسط : أى التقاطع بخطوط مستقيمه.

(٥٨) الكرنداس البسيط المسدس : عبارة عن وحدة هندسيه مسدسه هرمية مرتبطه بجفوت مع تكرارها.

(٥٩) د. عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفيه الاسلاميه فى العصر العثمانى، الهيئة المصريه العامه للكتاب ، ١٩٧٤، ص ٦٣-٦٥.

(٦٠) المرجع نفسه ، ص ١٨١.

عن هذه الكتابات انظر

د. مصطفى بركات : دراسه للخط والالقاب والوظائف من خلال النصوص التأسيسيه الباقيه للعمائر العثمانيه بمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، ١٩٨٨.

(٦١) د. محمود الحسينى : المرجع السابق ، ص ٢٢٥.

(٦٢) المرجع نفسه ، ص ٢٨١.

(٦٣) المرجع نفسه ، ص ٢٠٣

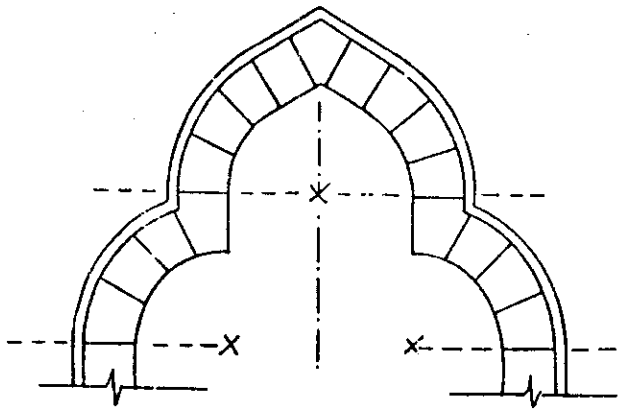

(١) شكل يبين العقد الثلاثى

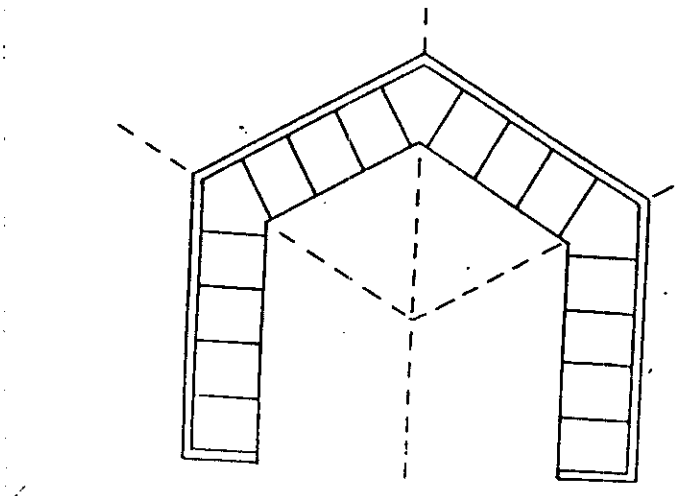

(٢) شكل يبين العقد المرتد

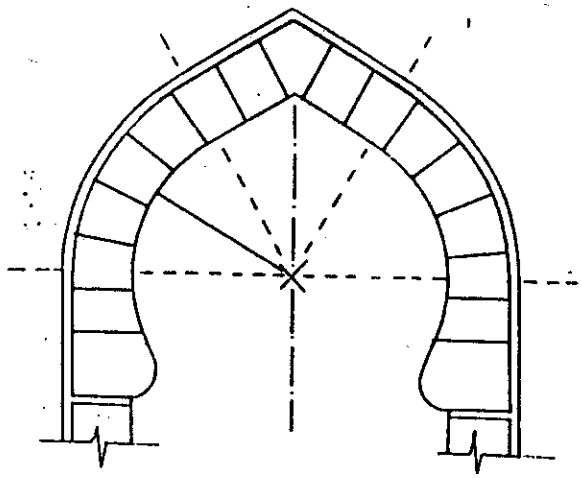

(٣) شكل يبين العقد المرتد المبب

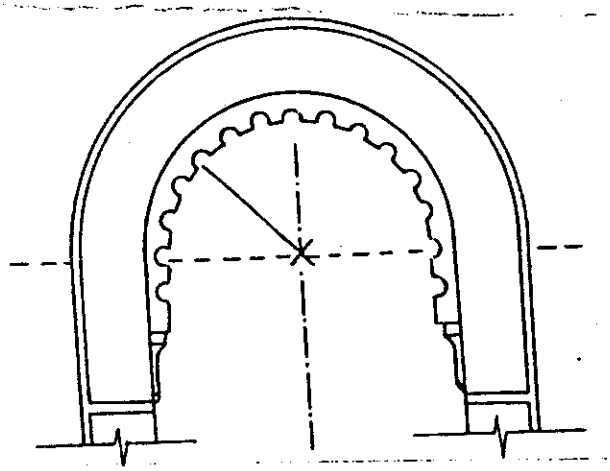

(٤) شكل يبين العقد ذو الفصوص

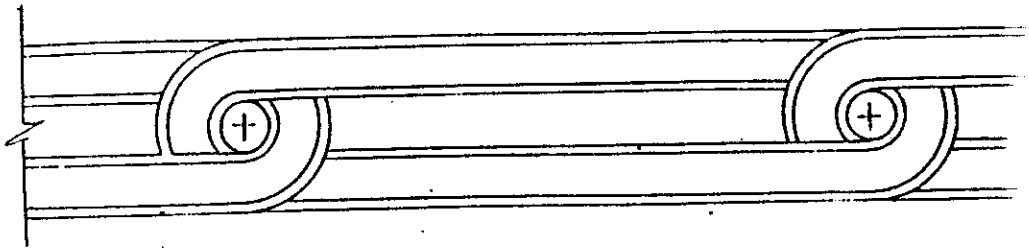

(٧) شكل يبين جفت الميمه الدائرى

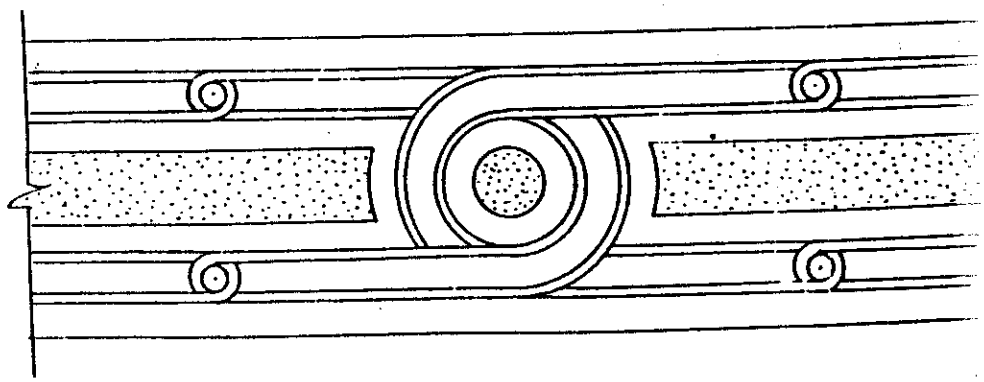

(٨) شكل يبين جفت الميمه المركبه

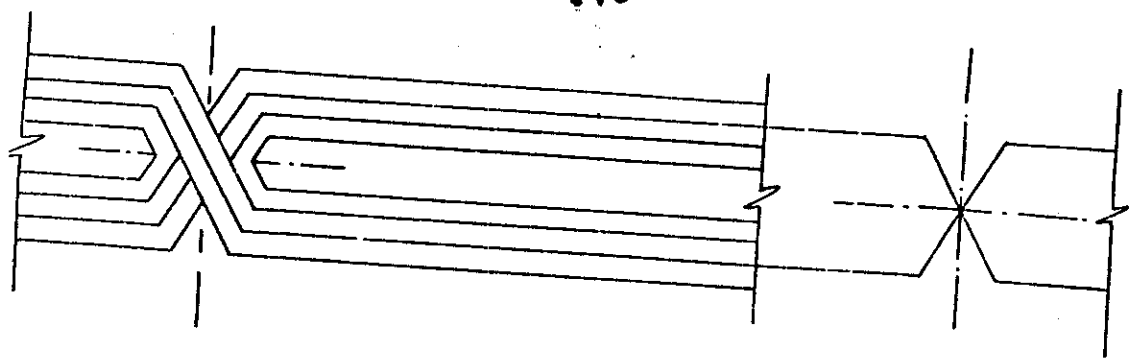

(٩) شكل يبين الكرنداس المبسط.

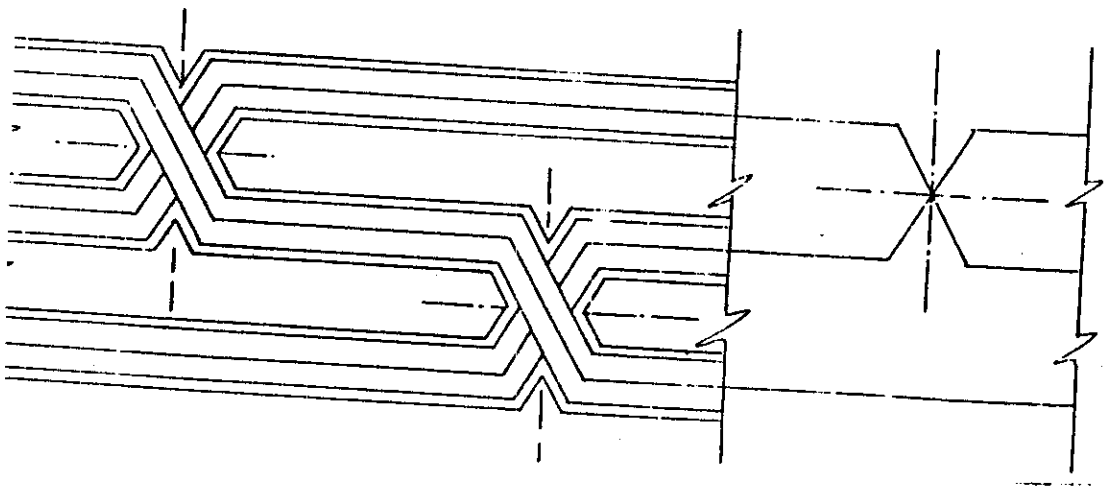

(١٠) شكل يبين الكرنداس المركب.

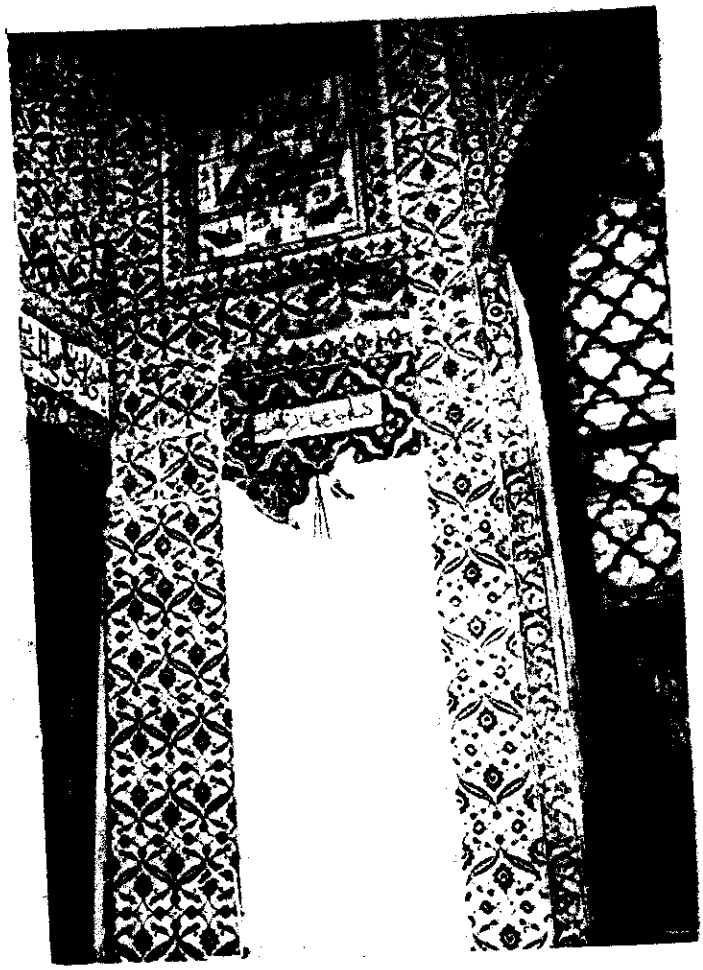

(١) لوحة تبين اللوحة الزخرفيه التى تمثل الكعبة المشرفة وبقايا رسم المحراب بسبيل عبد الرحمن كتخدا.

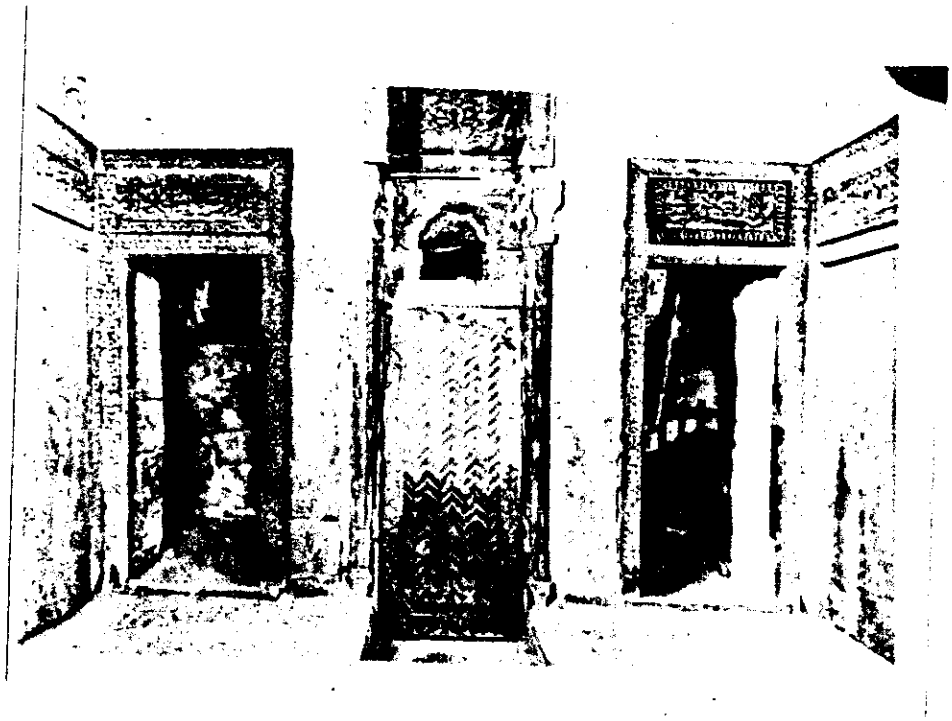

(٢) لوحة تبين السلسبيل بسبيل السلطان الغورى.

(٣) لوحة تبين الشاذروان بسبيل جامع تغرى بردى.

(٤) (٤) خوصة تبين دال على القلعة الثالثة من سيدوطار او ياهدايم المناوئة لي.

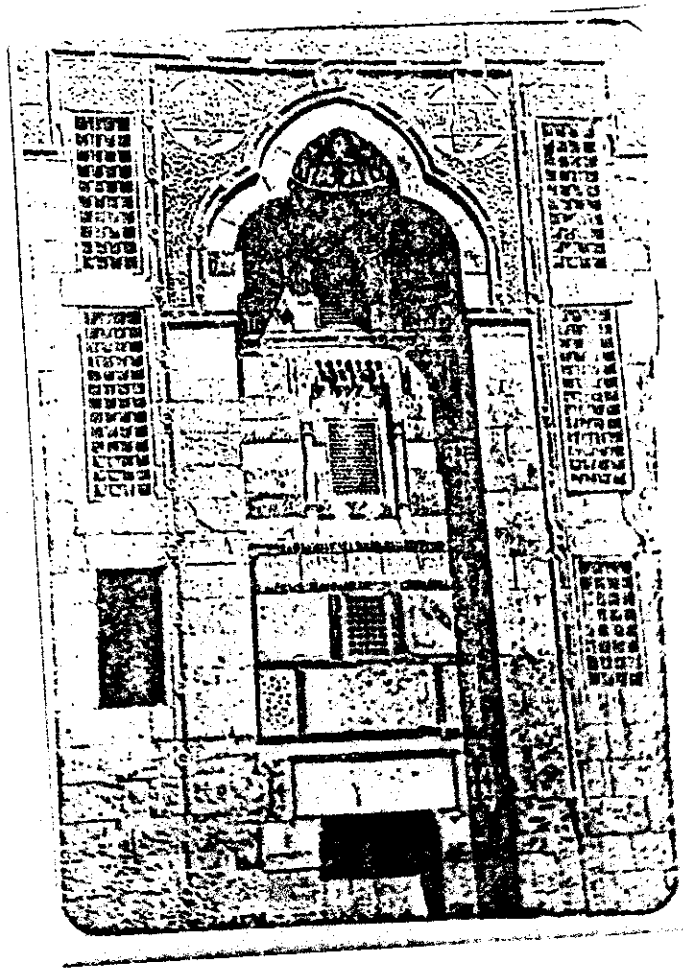

(٥) لوحة تبين العقد الثلاثى الذى يتوج مدخل سبيل قايتباى بالقرافه.

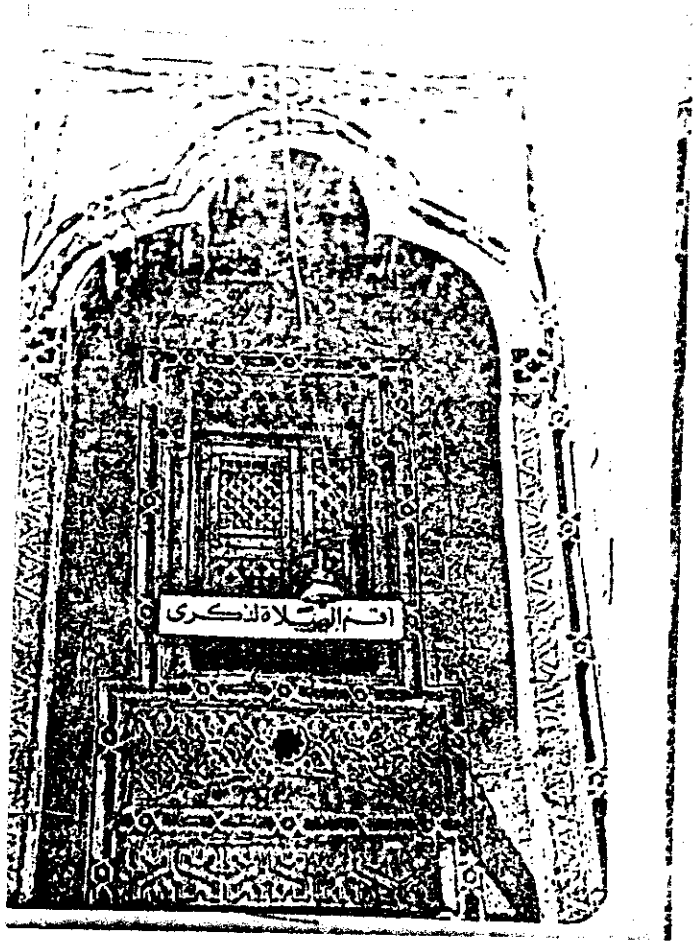

(٦) لوحة تبين العقد الثلاثى مدخل سبيل جنبلاط.

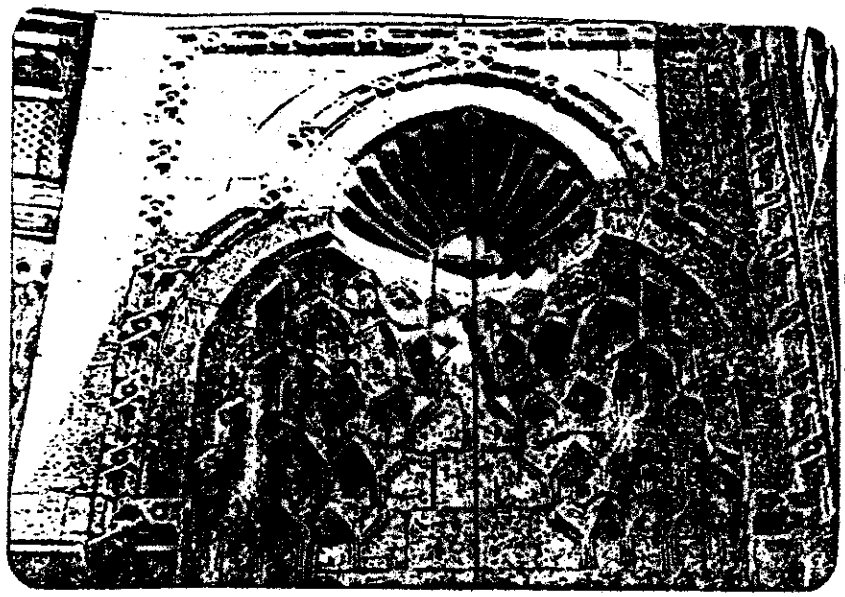

(٧) لوحة تبين العقد الثلاثى الذى يتوج سبيل عبد الرحمن كتخدا.

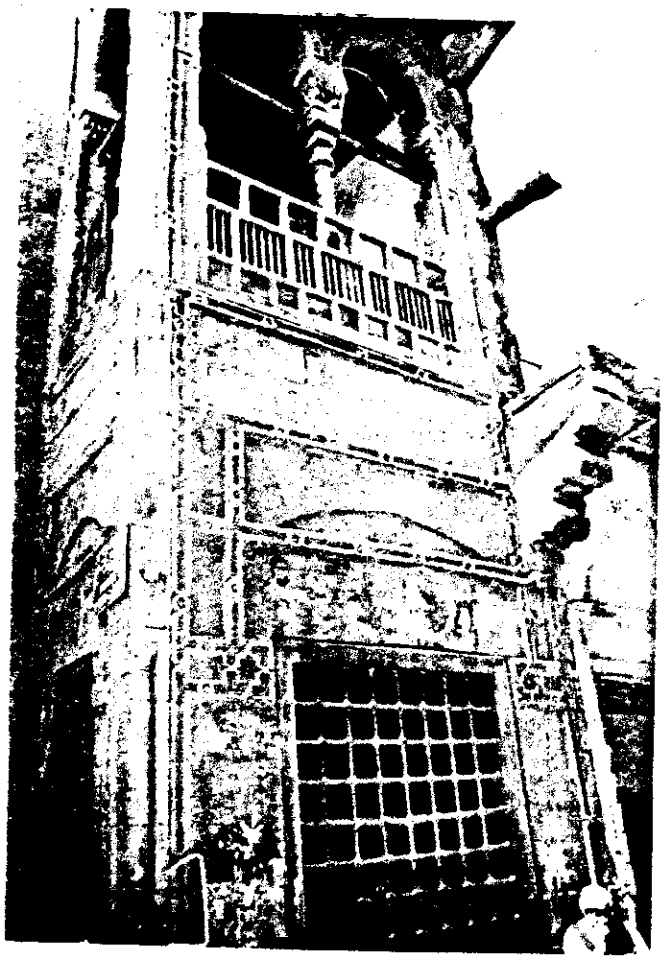

(٨) لوحة تبين العقد المدبب المرتد بسبيل قياطاس.

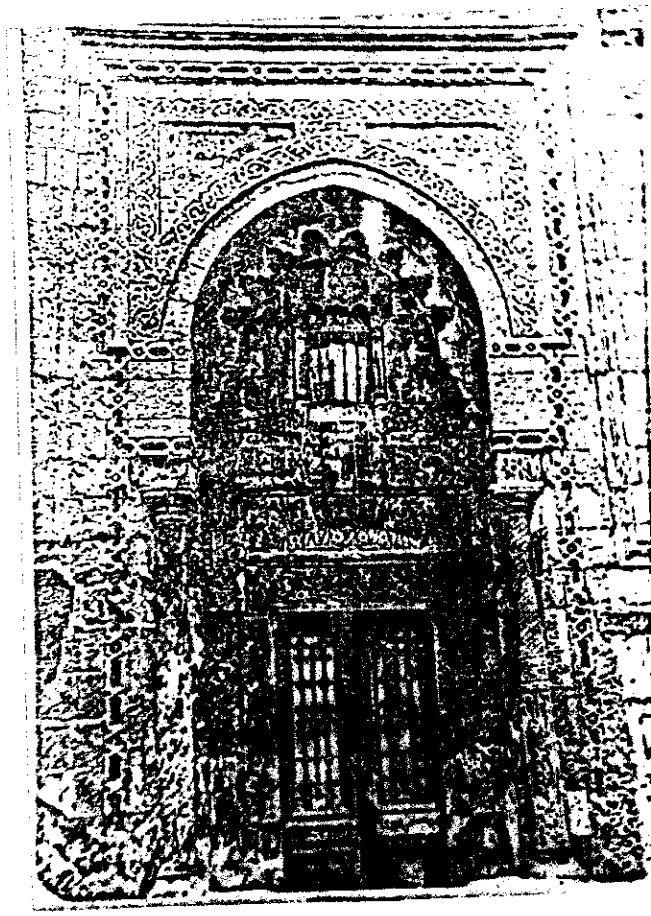

(٩) لوحة تبين العقد المركب الذى يتوج مدخل سبيل السلطان محمود.

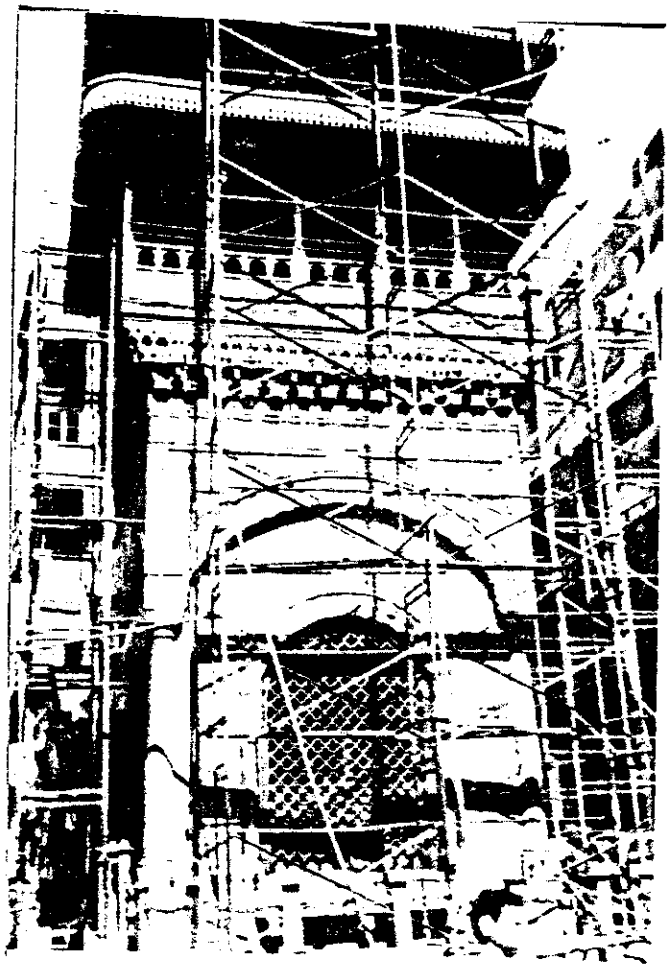

(١٠) لوحة تبين العقد المزدوج بسبيل عبد الرحمن كتخدا.

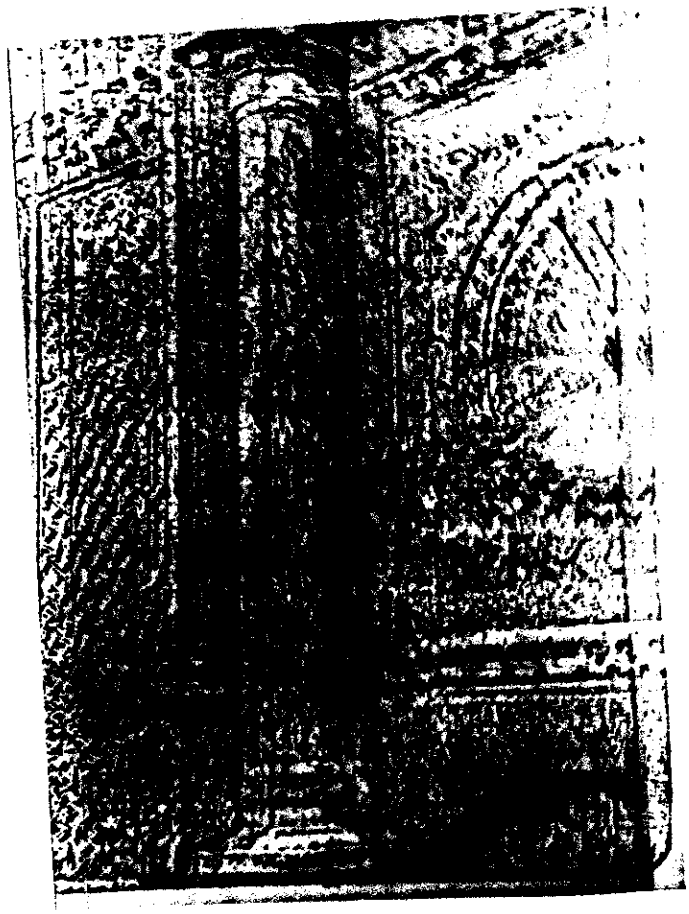

(١) لوحة تقديرية للمقصورة بعد ترميمها في النسخة الحالية.

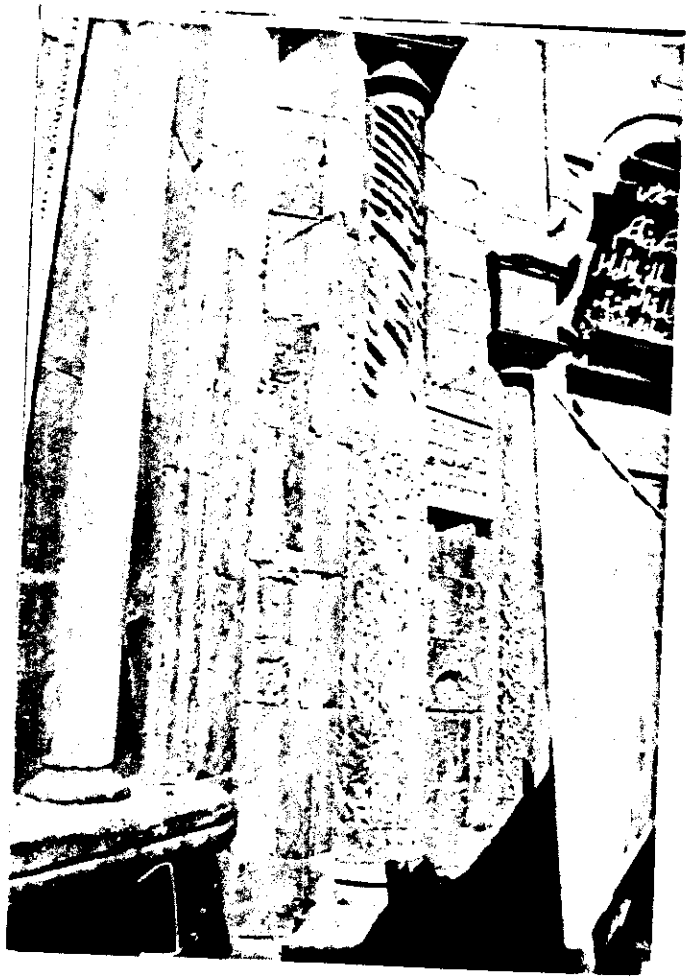

(١٢) لوحة تبين العمود بسبيل السلطان مصطفى.

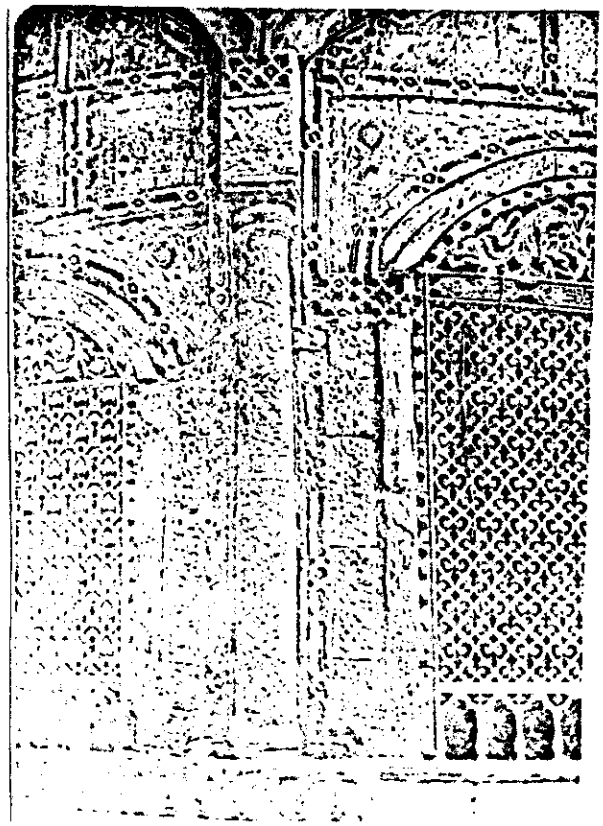

(١٣) لوحة تبين العمود بسبيل رقيه دودو.

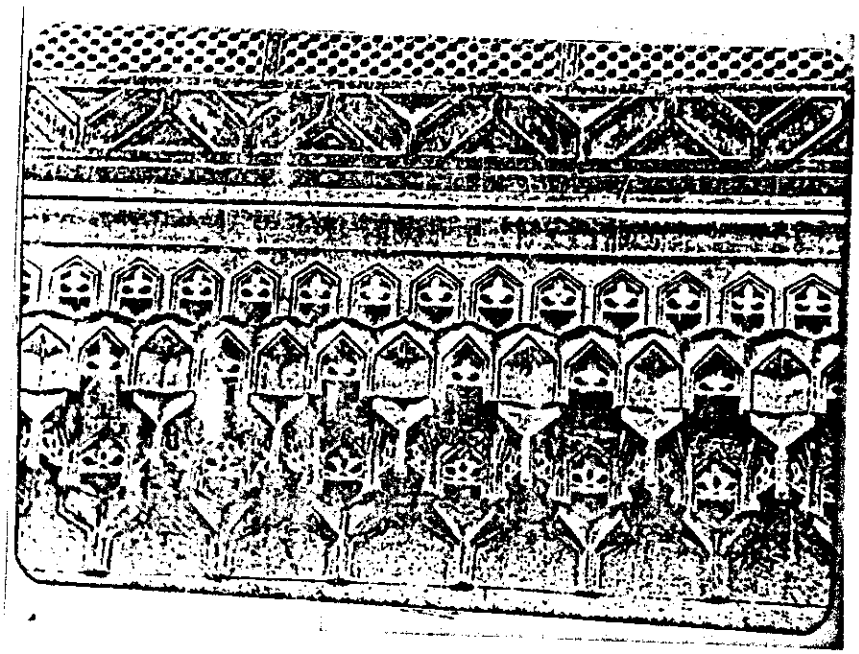

(١٤) لوحة تبين المقرنصات بسبيل يوسف أغا الحين.

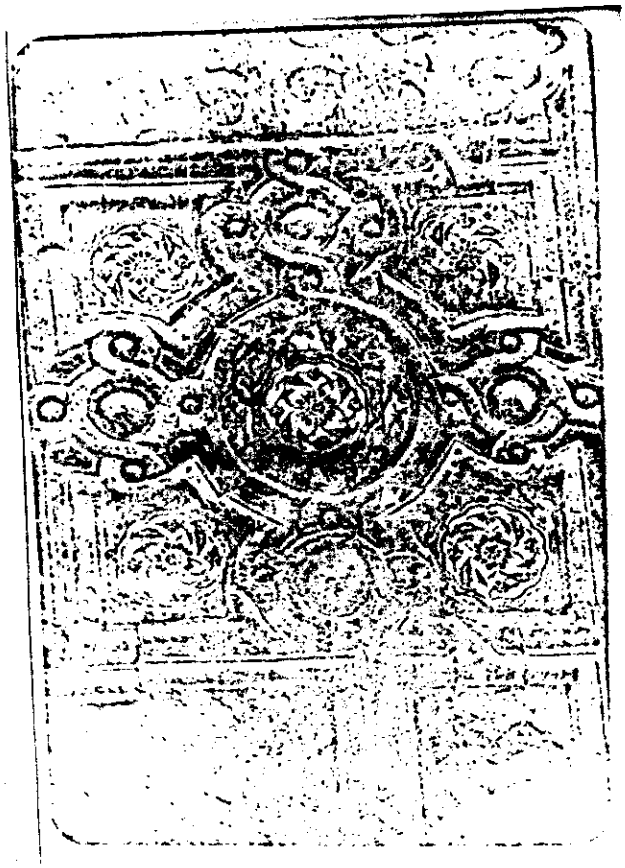

(١٥) لوحة تبين الجفوت بسبيل مصطفى سنان..

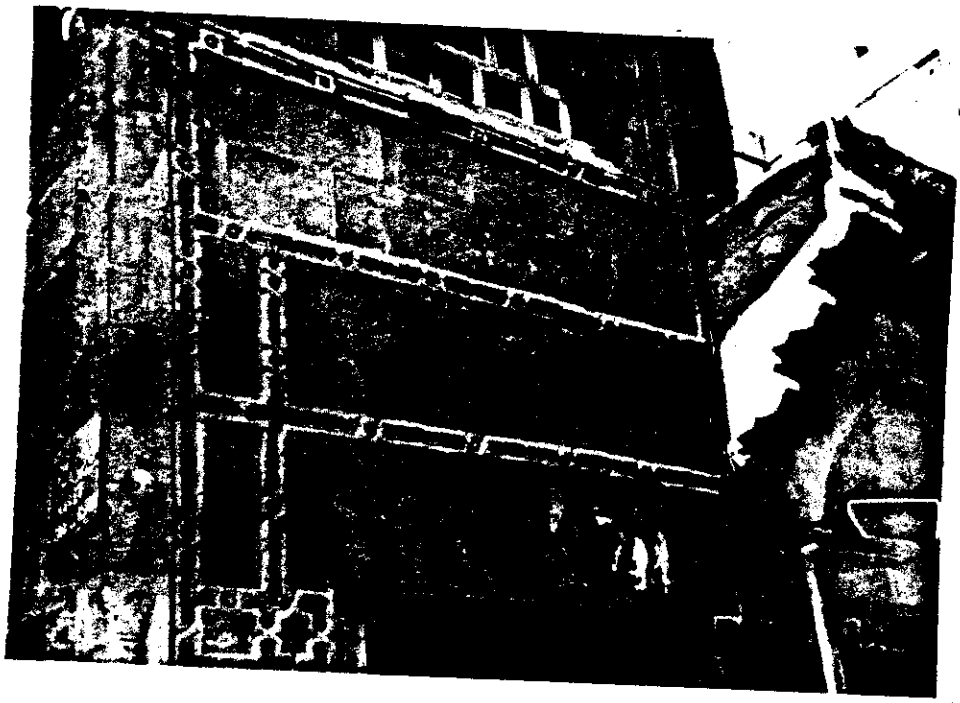

(١٦) لوحة تبين الجفوت بسبيل قيطاس.

(١٧) لوحة تبين الطغراء بسبيل السلطان محمود.

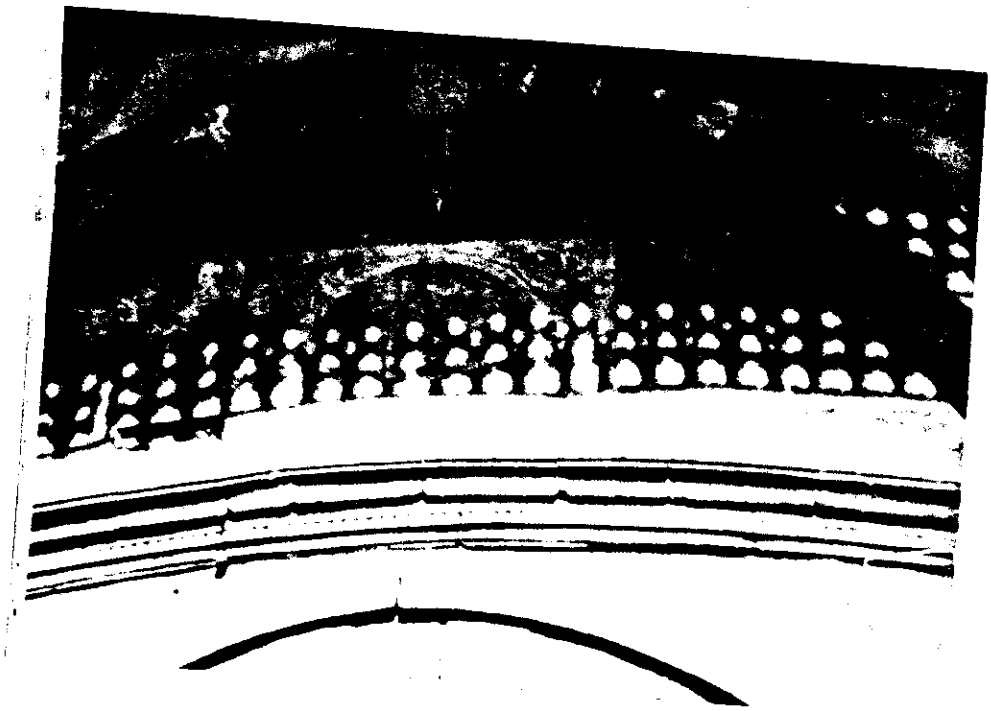

(١٨) لوحة تبين الطغراء بسبيل السلطان مصطفى.